Al Wasl University Journal - Issue (72) - June 2026
ISSN 2791-2949 (Online)

The Symbolism of the Opening Letters of Quranic Surahs: Surah Ṣād as a Case Study

Prof. Ahmed Rahmani
Alwasl University - Dubai

https://doi.org/10.47798/awuj.2026.i72.01

Abstract

This study presents an examination of what the ancients referred to as the 'disjointed letters.' The research approaches the subject from a different perspective by focusing on its symbolic aspect under the title (The Symbolism of the Beginnings of Qur'anic Surahs) with the aim of highlighting their meanings, secrets, and strategy in structuring the surahs, as well as the purposes of their miraculous aspects. The study consists of an introduction and two main sections: the first addresses theoretical preliminaries, and the second is dedicated to applying the study to (Surah Ṣād) as a model of the elusive symbolic phenomenon in the Qur'an. It concludes with findings that reveal the relationship between the symbolic letter (Ṣād) and the strategic structure of the surah in connection with its opening.

Received: 11-02-2026

Accepted: 23-04-2026

Published: 01-06-2026

Corresponding Author:

rahmani.ahmed@alwasl.ac.ae

رمزية مطالع السور القرآنية
سورة (ص) أنموذجًا

أ. د. أحمد رحماني
أستاذ النقد الأدبي - جامعة الوصل - دبي

ملخص

يُقدم هذا البحث دراسة لما اصطلح القدماء عليه بتسميته بـ (الحروف المقطَّعة)، يضع البحث في الموضوع في سياق مختلف، حين يتجه بالبحث نحو الجانب الرمزي فيه تحت عنوان (رمزية مطالع السور القرآنية) بغرض التركيز على مدلولها وأسرارها وإستراتيجيتها في بناء السور، ومقاصد الإعجاز في ذلك، ويتكون البحث من تمهيد ومبحثين، يتناول المبحث الأول في فقرات: مقدمات نظرية، ويُخصص المبحث الثاني للتطبيق على سورة(ص) كنموذج للظاهرة الرمزية المستعصية في القرآن الكريم، ويخلص إلى نتائج تكشف العلاقة بين الحرف الرمزي (صاد) والبناء الإستراتيجي للسورة في علاقتها بمطلعها دلالةً وصوتًا.

الكلمات المفتاحية: (مطالع، سور، قرآن، الحروف المقطعة، رمزية)

© 2022 AWU Publishers/Alwasl University. All Rights Reserved.

مقدمة

في مطالع تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم رموز غير مفهومة الدلالة، عاش مكابدتها علماء التفسير، وعلوم القرآن الكريم منذ نشأة التفسير إلى عصرنا هذا، حتى قال بعض المتقدمين، «هي سرُّ الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يُتكلم فيها، ولكن يؤمن بها، وتمرّ كما جاءت»[1]. لكن الجمهور من العلماء قال: «بل يجب أن يُتكلم فيها، وتلتمس الفوائد التي تحتها، والمعاني التي تتخرج عليها». فهي أَسْمَاءٌ مَدْلُولُهَا حُرُوفُ الْمُعْجَمِ؛ وَلِذَلِكَ نُطِقَ بِهَا نُطْقَ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ[2]، وبين تضارب الرأيين قال المتأخرون: تَحَيَّرَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَحَلِّ هَاتِهِ الْحُرُوفِ الْوَاقِعَةِ فِي فَوَاتِحِ سُوَرٍ القرآن الكريم وتكثّرت حتى بلغ عددها تِسْعًا وَعِشْرِينَ سُورَةً، وجلُّها فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَكَانَ بَعْضُهَا فِي ثَانِي سُورَةٍ نَزَلَتْ وَهِيَ: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ [الْقَلَم: 1]، وَأَخْلِقْ بِهَا أَنْ تَكُونَ مَثَارَ حَيْرَةٍ، وَمَصْدَرَ أَبْحَاثٍ كَثِيرَةٍ[3]. قال القاضي أبو محمد: والصواب ما قاله الجمهور أن تُفسر هذه الحروف، ويلتمس لها التأويل.[4]

أمام هذه الآراء المختلفة أرى أن ننظر في الإشكال من زاوية مختلفة تفرضها طبيعة البحث، وتطور المناهج، تتكئ على أدوات منهجية مختلفة؛ بل متضافرة، لتتناول الموضوع من حيث هو تعبير رمزي، له أهداف إستراتيجية، قد استخدم آليات تعبير دقيقة فجعلنا عنوان البحث: «رمزية مطالع السور القرآنية سورة (ص) أنموذجًا».

فتشكل العنوان من المفاتيح التالية:

1. الرمز: وهو مصطلح قرآني يهدف إلى التعبير عن المعاني بأساليب رمزية، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ ﴾ [آل عمران: 41]،

1- ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ، (1/ 82).

2- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ، (1/ 56).

3- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ، (1/ 206).

4- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (1/ 82).

فالرمز هنا وسيلة تعبير عن المقاصد، يقول ابن عاشور: «ويحضر لنا من أغراضها أنها أُبتدئت بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحديًا إجماليًّا بحروف التهجي المفتتح بها رمزًا يقتضي استشرافهم لما يرد بعده، وانتظارَهم لبيان مقصده، فأعقب بالتنويه بشأن القرآن فتحوَّل الرمز إيماءً إلى بعض المقصود من ذلك الرمز له أشد وقع على نفوسهم، فتبقى في انتظار ما يتعقبه من صريح التعجيز»[1]؛ ولذا قيل: «الرَّمْزُ فِي اللُّغَةِ الْإِيمَاءُ بِالشَّفَتَيْنِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِيمَاءِ بِالْحَاجِبَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْيَدَيْنِ، وَأَصْلُهُ الْحَرَكَةُ»[2]، وتقع هذه الرموز في مطالع بعض السور. والرمز طبيعته تجريدية؛ لذلك يستأنس شرحه بنوع من الحسيات.

2. السورة: وهي مفهوم قرآني، تردد كثيرًا في القرآن كقوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: 64]، ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: 1] ومَعْنَى سُورَةٌ: جُزْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ مُعَيَّنٌ بِمَبْدَأٍ وَنِهَايَةٍ وَعَدَدِ آيَاتٍ»[3] ويهدف المفهوم إلى تحديد مكون من مكونات القرآن له شخصية محددة، ومعالم من بينها تفرد بعضها بمطالع رمزية.

3. مطالع السور: وهي العبارة أو العبارات الأولى في السورة، وتتكون من الرمز وملحقاته، ويختلف تركيب الرمز فيها من نمط مطلعي إلى آخر تبعًا لمقاصد السورة فقيل: «السورة وصف لما ارتفع بشواهده»[4]، وقيل: «حَدُّ السُّورَةِ قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى آيِ ذِي فَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ»[5].

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير الطبعة التونسية (1/ 203).

2- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1423 هـ/ 2003 م، (4/ 80).

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير (18/ 142).

4- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م، (19/ 86).

5- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974م، (1/ 186).

4. القرآن: وهو المصطلح القرآني المميز للكتاب الذي نزل على النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) وسُمي قرآنًا لتميز نزوله وحيًا مقروءًا على غير الحال التي نزلت بها الكتب السماوية السابقة لها، فقيل: «إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ قُرْآنًا؛ لأَنَّ الْقَارِئَ يُظْهِرُهُ وَيُبَيِّنُهُ مِنْ فِيهِ وَالْقُرْآنُ يلفظه الْقَارِئُ مِنْ فِيهِ، وَيُلْقِيهِ فَسُمِّيَ قُرْآنًا[1]. ويبين ذلك أول آية نزلت ﴿ اقۡرَأۡ بِاسۡمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ ﴾ [العلق: 1] وقيل: «إنما سمي قرآنا؛ لأنه يجمع السّور فيضمها»[2].

5. الذكر: وهو مصطلح قرآني يطلق لمعانٍ تتعلق بالتذكير، وأشهرها: أنه يعني الذكر بالقلب وهو الفكر في عظمة اللّهّ وجلاله وقدرته، وفي ما في خلقه وصنعه من الدلائل عليه، وعلى حكمه وجميل صنعه، والذكر الثاني: الذكر باللسان بالتعظيم والتسبيح والتقديس[3]، وقد يُطلق ويعني: صفة من صفات القرآن الكريم تحدد وظيفة من وظائفه العميقة كالإشهاد كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَاۤ إِلَیۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَیۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ یَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44] قال الجصاص: «فحثَّنا على التفكر فيه، وحرَّضنا على الاستنباط والتدب، ر وأمرنا بالاعتبار لنتسابق إلى إدراك أحكامه، ونَنال درجة المستنبطين، والعلماء الناظرين»[4].

الدراسات السابقة: لمَّا كان موضوع الحروف الرمزية ظاهرة أسلوبية معجزة لافتة للانتباه، فقد كانت موضع اهتمام كبير لدى المتقدمين والمتأخرين، بحيث لا يخلو تفسير من تفاسير القرآن، ولا كتاب من كتب علوم القرآن من الإدلاء برأيه فيه مع اختلافهم باختلاف باع كل منهم، ولعل أبرز الدراسات هي تلك التي تعرض في مقدمات التفاسير، كمقدمات(التحرير والتنوير)، أو تلك التي تخصص لها مباحث في كتب علوم القرآن ذات البعد النظري كـ(جواهر القرآن) للغزالي، و(الانتصار للقرآن) للباقلاني أو البعد الوصفي كـ

1- المصدر نفسه، (1/ 182).
2- ابن الهائم أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1423 هـ، (102).
3- الجصاص، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الحنفي، القرن: الرابع، أحكام القرآن للجصاص تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت، سنة الطبع: 1405هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، (3/ 247).
4- المصدر نفسه، (4/ 34).

(البرهان في علوم القرآن) حيث يعد الحروف أسماء[1]، ويصرِّح برأيه في المناسبة الصوتية القائمة على التكرار في العلاقة بين الحروف المقطعة في السورة والتكرار لكلمات تحتوي ذلك الحرف كالتي افتتحت (الر)[2]، و(الإتقان في علوم القرآن).

ومن الدراسات الحديثة نذكر:

1. الحروف المقطعة (الرمز الهدائي في القرآن الكريم)، لممدوح ترميذي، شركة [nem] اندونيسا ط1 2024م وقد ركز دراسته على (الطواسيم) وأشار لبعض الحروف معتبرًا أن (م) تشير إلى الماء، و(س) ارتبط بالبخل والشح، والطاء ارتبط بالصبر والتوكل والثقة بالله والإيمان به، وعلى العموم فقد اعتبرت تلك الحروف ذات معاني أخلاقية.

2. الحروف المقطَّعة في أوائل السور القرآنية، دراسة نقدية للتأويلات العددية، والتفسيرات الإشارية، لمحمد أحمد أبو فراخ، دار المنهل جدة.

3. الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم دراسة تفسيرية لإحسان طه ياسين، (الم أنموذجًا) جامعة تكريت، ركز على طريقة قراءة الحروف المقطَّعة، وأقوال العلماء ومناقشة الأدلة.

4. الحروف المقطَّعة في أوائل السور، فضل عباس صالح عبد اللطيف، أطروحة لاستكمال درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا بنابلس فلسطين. سنة 2004م.

1- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن ط المعرفة (1/ 171): تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1391ه، (1/ 171)، يقول: هذه الفواتح الشريفة على ضربين: أحدهما مالا يتأتى فيه إعراب نحو: (كهيعص و ألم) والآخر: ما يتأتى فيه وهو إما أن يكون اسمًا مفردًا ك (ص وق ون) أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد ك (حم و طس ويس)؛ فإنها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك (طسم) يتأتى فيها أن تفتح نونها؛ فتصير ميمًا مضمومة إلى (طس) فيجعلا اسمًا واحدًا ك(دار انجرد) فالنوع الأول محكي ليس إلا، وأما النوع الثاني فسائغ فيه الأمران: الإعراب والحكاية.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/ 272)، يصرح بقوله: فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع موضع (ق) من سورة (ن) لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى، وقد تكرر في سورة يونس من الكلم الواقع فيها (آلر) مائتا كلمة وعشرون، أو نحوها؛ فلهذا افتتحت ب (آلر)».

ركز فيها على الفرق بين أسماء الحروف ومسمياتها، وحكمة الاقتصار على هذه السور دون غيرها من الافتتاح بالحروف المقطعة، مع الإشارة إلى الإعجاز العددي.

إشكالية البحث: لمَّا كان أمر الحروف المقدمة في مطالع السور مجالاً ضروريًّا للدخول لمحتويات السور القرآنية التي بلغ عددها تسعًا وعشرين سورة؛ أولها في المصحف مطلع سورة البقرة وهو: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، ولما كان تركيب سورها يستقطب إستراتيجية التمكين للتلقي، فقد كان عتبة صعبة؛ لذلك كانت التساؤلات التي يقتضيها البحث لتعبر عن الإشكال فعلا هي: ما دلالة الحروف التي تقع في مطالع تلك السور؟، ولماذا كانت متماثلة أحيانًا ومختلفة أخرى عددًا ونوعًا؟ وهل لها علاقة بمحتوى السورة؟ وما الغرض منها؟ وهل يعدها الباحثون من المحكم أو من المتشابه؟ وإن كانت من المتشابه فكيف يصل الباحث إلى دلالتها؟ وقبل ذلك كله ما موقف علماء القرآن والمفسرين خاصة من مطالع تلك السور ذات الحروف الرمزية؟ وهل يمكن لاعتماد سورة واحدة ذات رمز بسيط وغير مركب أن يدل على الهدف منها، وأن يفسر الإشكال؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

1. إعادة طرح مشكل الحروف المقطعة[1] بوصفها رموزًا لمقاصد السورة لطاولة البحث
2. محاولة بيان أسرار تعدد الحروف، وتماثلها في سور، واختلافها في أخرى.
3. إبراز العلاقة بين الحروف الرمزية في المطالع، وموضوعات السور.
4. تقديم دراسة لسورة ذات رمز مفرد (ص).

المنهج المعتمد:

لقد تشكَّلت تلك الرموز المتنوعة من حيث موقعها من النسق وفق نظام واحد، فوقعت في فاتحة مطالع بعض السور المكية، والمدنية على حدٍّ سواء، وإن نزل ست وعشرون منها في مكة، وهي مرحلة انطلاق الدعوة التي وسيلتها النص القرآني؛ حتى

1- البرهان في علوم القرآن (1/ 172)، قال: الزركشي: وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ أَوَائِلَ السُّوَرِ عَلَى قولين:
أَحَدِهِمَا: أَنَّ هَذَا عِلْمٌ مَسْتُورٌ وَسِرٌّ مَحْجُوبٌ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ، الْقَوْلُ الثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهَا مَعْلُومٌ وَذَكَرُوا فِيهِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ وَجْهًا.

وسمت الحضارة التي بنيت بواسطتها حضارة النص[1]؛ ولذلك تطلّب البحث اعتماد منهج مركب من عدة أدوات منها الاستقراء والإحصاء، والنسق والنظم، وستتبين طريقة تركيبها في التطبيق العملي على (سورة ص).

خطة البحث: يتكون البحث من تمهيد، ومبحثين يتناول الأول في فقرات مقدمات نظرية، ويُخصص الثاني للتطبيق على (سورة ص) كنموذج للظاهرة الرمزية المستعصية في القرآن الكريم، ثم تأتي الخاتمة لتسجل النتائج.

المبحث الأول: مقدمات نظرية

يُعدُّ النصُّ القرآني ظاهرة حضارية ذات مرجعية تعلو على المعتبرات من النصوص جملة وتفصيلاً، بما يميزها من أهداف وإستراتيجيات وأسلوب توصيل، وبنية جمالية خارقة، لذلك تعددت أسماؤه بين كتاب، وتنزيل، وقرآن، وتنوعت صفاته بين حكيم، ومجيد، ومبين، وتعددت مكونات بنائه من سور متفاوتة الطول بين سورة تصل إلى (286 آية) وأخرى تكتفي بنيتها بثلاث آيات، وتنوعت مطالعها حتى جاء تسع وعشرون منها يتحلى برموز حيَّرت الباحثين منذ نشأة التفسير إلى عصرنا هذا. ومختلفة الآيات بين المحكم والمتشابه.

ثُمَّ قد كانت تلك المطالع بين المتشابه والمختلف، حتى بلغت ست مجموعات من حيث عدد حروفها، ابتداءً من ذوات الحرف المفرد، مثل: (ن والقلم)، لغاية ذوات الخمسة أحرف مثل: (كهيعص).

و نظرًا لأهمية ارتباط محتويات السور بتلك المطالع، ونظرًا لدور المطالع في التعبير عن فحوى السورة فقد اختُلف في تأويلها منذ فجر الإسلام، ثم تركز في ضحاه، فذهب بعضهم إلى عدِّها حروفًا مقطَّعة تعبر عن أسماء الله إلا أن معرفتها تستعصي على العقول، وقدَّم الباحثون أمثلة للدلالة كقولهم في (الم): فَالْأَلِفُ مِفْتَاحُ اسْمِ اللَّهِ، وَاللَّامُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ لَطِيفٍ (1) وَالْمِيمُ مِفْتَاحُ اسْمِهِ مَجِيدٍ (2) أو يكون الْأَلِفُ آلَاءُ اللَّهِ، وَاللَّامُ لُطْفُ اللَّهِ، وَالْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ[2] وقال آخرون: هي حروف مقْسم بها، أو أنها أسماء للسور[3]، وعلى هذا فقد أشكل

1- ينظر: حضارة النص ونص الحضارة قراءات نقدية، أشرف البولاقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 2018م، ص 11 - 25.

2- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م، (1/ 158).

3- ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (1/ 82).

فهمُها دلاليًّا كما أشكل فهم علاقتها بنسق النص، ومن ثَمَّ استغلق فهم مقاصدها، ومما زاد الأمر صعوبة عدم ورود نصوص صريحة في الاستفسار عليها من مصدر النبوة، على الرغم من علاقتها بالنبوة كما يريد معظم المؤولين أن يؤولوا سر وجودها في تلك المطالع المكية بقوة، فكاد المؤولون يتفقون على أنها جاءت بغرض التحدي لمن يشككون في التنزيل، ومن ثَمَّ صحة خبر النبوة؛ لذا ذهب الزمخشري إلى القول بأن مغزى تلك الحروف إشارة إلى أن هذا القرآن كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم من حروف وقد عجزوا عنه، فظهرت علامات أعجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة؛ إذ هو قد تجاوز قوى الفصحاء، لأنه ليس بكلام البشر، و أنما هو كلام القوي القادر المعجز[1].

فهناك إذن سر هو الذي ترمي الإشارة إليه بالرموز في مطالع السور، لكن لا يتصور عقلا أن يأتي الله بتلك الرموز في مطلع سورة معينة وبأخرى في سورة أخرى دون أن تكون لها علاقة بمتن السورة[2]؛ لذا تقتضي أي محاولة لفهم أسرار تلك الرموز، ضرورة فهم علاقتها بمتن النص وفق تحليل لنسق السورة؛ إذ النظر العلمي الدقيق في نسق السورة وبنيتها، وفق عادة الله في كلامه هو الطريق الصحيح لإدراك دلالة الرمز في سياق أسلوب السورة في النص القرآني كله؛ إذ هو منسجم معه؛ لأنه «مَأْخُوذٌ مِنْ عَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِنْزَالِهِ، وَخِطَابِ الْخَلْقِ بِهِ، وَمُعَامَلَتِهِ لَهُمْ بِالرِّفْقِ وَالْحُسْنَى مِنْ جَعْلِهِ عَرَبِيًّا يَدْخُلُ تَحْتَ نَيْلِ أَفْهَامِهِمْ، مَعَ أَنَّهُ الْمُنَزَّهُ الْقَدِيمُ، وَكَوْنُهُ تَنَزَّلَ لَهُمْ بِالتَّقْرِيبِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعْلِيمِ فِي نَفْسِ الْمُعَامَلَةِ بِهِ، قَبْلَ النَّظَرِ إِلَى مَا حَوَاهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْخَيْرَاتِ»[3].

وتبقى مسألة القدرة والاجتهاد هي الطريق لبحث الإشكال، فوجب من أجل ذلك أن يكون من حيث جعل لفظ الكتاب محتملاً للمعاني أن يكون مشرعًا لكل واحد من

1- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407هـ، (1/ 27).

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/ 160). يقول: وَمِنْ هَاهُنَا لَحَظَ (1) بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ كَلَامًا، فَقَالَ: لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ لَمْ يُنْزِلْهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَبَثًا وَلَا سُدًى؛ وَمَنْ قَالَ مِنَ الْجَهَلَةِ: إِنَّه فِي الْقُرْآنِ مَا هُوَ تَعَبُّدٌ لَا مَعْنَى لَهُ بِالْكُلِّيَّةِ، فَقَدْ أَخْطَأَ خَطَأً كَبِيرًا، فَتَعَيَّنَ أَنَّ لَهَا مَعْنًى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَإِنْ صَحَّ لَنَا فِيهَا عَنِ الْمَعْصُومِ شَيْءٌ قُلْنَا بِهِ، وَإِلَّا وَقَفْنَا حَيْثُ وَقَفْنَا، وَقُلْنَا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: 7].
وَلَمْ يُجْمِعِ الْعُلَمَاءُ فِيهَا عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا، فَمَنْ ظَهَرَ لَهُ بَعْضُ الْأَقْوَالِ بِدَلِيلٍ فَعَلَيْهِ اتِّبَاعُهُ، وَإِلَّا فَالْوَقْفُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ. هَذَا مَقَامٌ.

3- الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير ب (المتوفى: 790هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، (4/ 200).

المجتهدين ما دل عليه عنده فحوى الآية، وما في مضمون الخطاب، ومقتضاه من وجوه الاحتمال[1].

إن أسلوبَ القرآن الكريم، ومقاصد نصوصه في إشكال الرمز المتكرر يعد من الخوارق الأسلوبية العابرة للأجيال، والسبب في ذلك كون المعجزة المطروحة ذات بعد يتحدى البشرية في كل زمان ومكان تبعًا لأسباب ودواع شأنها شأن الخوارق الإلهية، «فَالْخَوَارِقُ مُسَبِّبَاتٌ عَنِ الْأَسْبَابِ التَّكْلِيفِيَّةِ»[2]، ولما كان الإعجاز وصفًا لتكليف أبدي، فقد ترتب عليه أن يكون (الرمز) في تلك المطالع أبديًّا كذلك؛ لذلك استمر التساؤل من حول أسراره كل هذه القرون، فهو «رَاجِعٌ إِلَى عَادَةٍ كُلِّيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ، وُضِعَتْ عَلَيْهَا الدُّنْيَا وَبِهَا قَامَتْ مَصَالِحُهَا فِي الْخَلْقِ»[3]، ثم هل يعدها الباحثون من المحكم؟ أو من المتشابه؟ وإن كانت من المتشابه فكيف يصل الباحث إلى دلالتها على ما في ذلك المتشابه من أسرار؟

وعلى هذا اخترت أن أبحث ذلك الإشكال في ضوء نظرية النظم التي تعنى بالنسق من جهة، بغرض التعرف على إستراتيجية القرآن في السور ذات الحروف الرمزية، وفي ضوء آلية الإحصاء العددي التي يقترحها الغرناطي لذات الغرض، ولكي يتيسر ذلك سنختار نموذجًا من السور المحتوية لتلك الرموز وسنركز على السورة ذات الرموز المفردة كما في سورة (ق)، دون الرموز المركبة كما في سورة البقرة (الم) لعلنا نقع على ما ينفع في فهم بعض جوانب أو مقاصد تلك الرموز بالوقوف على ما في متن السورة من قرائن؛ سواء أكانت دلالية بحسب نظرية الجرجاني؛ إذ يرى أن المعنى الذي له كان له الكلام فصل خطاب، هو ترتيبها على طريقة معلومة، وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة. وهذا الاختصاص في الترتيب والتأليف يقع في الألفاظ مرتّبًا على المعاني المرتّبة في النفس، المنتظمة فيها على قضيّة العقل[4]، أو كانت قرائن صوتية بحسب مقترحات الغرناطي؛ إذ يرى أن «هذه السور ذات الحروف المقطعة إنما وُضع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده

1- أحكام القرآن للجصاص، (4/ 34).
2- الشاطبي، الموافقات (2/ 480).
3- الشاطبي، الموافقات، (2/ 510).
4- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الدار (المتوفى: 471 هـ)، أسرار البلاغة في علم البيان، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م، (14).

فيما تركب من كلمها»[1].

إن هذه السور المبدوءة بالرموز المفردة، أي: المفتتحة بحرف واحد تشكل مجموعة متشابهة المطالع وتشمل: (ص والقرآن ذي الذكر/ ق والقرآن المجيد/ ن والقلم وما يسطرون)؛ لكن تشارك غيرها من مطالع غيرها من السور في بنية المطلع، وإن اختلفت عنها في عدد الرموز كبنية مطلع سورة (يس) فكان مزدوج العدد كما في: (يس والقرآن الحكيم)، وهذه السور المفتتحة بحرف تتميز بذكر لفظ القرآن بعد الرمز، وهو الجامع بينها، إضافة لإفراد رمزها؛ فيأتي تركيبها بما يشبه الترابط في جملة القسم، كما تتميز بعدم الفصل بينها وبين ما يأتي بعدها مباشرة باستثناء (يس)، فتتميز بارتباط مطالعها بما بعده مباشرة لتشكل بنية واحدة تعبر عن آية واحدة، بخلاف ذوات الحرفين فأكثر التي يعد المطلع الرمزي فيها آية مستقلة كما في سورة البقرة (ألم، ذلك الكتاب لاريب فيه)، ثم إنَّ هذه السور تتشابه خواتيمها، وأن ذوات الحرف المفرد جميعًا مكية النزول بخلاف ذوات الثلاثة أحرف التي ينزل ثلاثة منها في المدينة، مما يطرح تساؤلا منهجيًّا في علاقة المبنى بمقام التداول لتلك السور.

ولقراءة بنية الرمز (صاد) دلاليًّا في (ص والقرآن ذي الذكر) بغرض التعرف على إستراتيجية بناء السورة في علاقتها بالرمز في المطلع مذهبان مهمان:

1. أحدهما دلالي وأنه من: صادى يصادِي إذا، عارض، ومنه: ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ [عبس: 6] فالمعنى صادي القرآن بعملك، أي: قابله به. وهذا المذهب يروى عن الحسن

-1 الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، (1/ 23)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، يقول: إن هذه السور إنما وضع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها، ويوضح لك ما ذكرت أنك إذا نظّرت سورة منها بما يماثلها فى عدد كلمها وحروفها وجدت الحروف المفتتح بها تلك السور إفرادًا وتركيبًا أكثر عددًا فى كلمها منها فى نظيرتها ومماثلتها فى عدد كلمها وحروفها، فإن لم تجد سورة منها ما يماثلها فى عدد كلمها ففى اطراد ذلك فى المتماثلات مما يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وجد مماثلها لجرى على ما ذكرت لك، وقد اطرد هذا فى أكثرها فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الوارد فيها فلو وقع فى موضع «ق» من سورة «ق» «ن» من سورة «ن والقلم» وموضع ن ق لم يمكن لعدم المناسبة المتأصل رعيها فى كتاب الله تعالى، فإذا أخذت كل افتتاح منها معتبرًا بما قدمته لك لم تجد: «كهيعص» يصح في موضع «حم عسق» ولا العكس ولا «حم» فى موضع «طس» ولا العكس ولا «ألمر» فى موضع «ألم» ولا عكس ذلك، ولا «ألمر» فى موضع «ألمص» بجعل الصاد فى موضع الراء ولا العكس فقد بان وجه اختصاص كل سورة بما به افتتحت، وأنه لا يناسب سورة منها ما افتتح غيرها، والله أعلم بما أراد.

أنه فسّر به قراءته رواية صحيحة عنه أنّ المعنى: اتله وتعرّض لقراءته»[1]، وقيل: «الْوَاوُ لِلْقَسَمِ أَقْسَمَ بِالْقُرْآنِ قَسَمَ تَنْوِيهٍ بِهِ»[2]. وبذلك يكون الترابط بين الحرف الرمزي واللفظ المرتبط معه في التركيب وهو لفظ {القرآن ذي الذكر} وما يتصل به من وصِفَ بِكونه {ذِي الذِّكْرِ} لِأَنَّ ذِي تُضَافُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الرَّفِيعَةِ فتجري على متصف مَقْصُودٍ التَّنْوِيهُ بِهِ، فَالتَّقْدِيرُ: وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ أَنَّهُ لَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِهَذَا عَجَزْتُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ[3].

2. وثانيهما: بلاغي حسي يتمثل في إخراج المجرد إخراجًا حسيًّا بصور مختلفة كالتشبيه والتمثيل بنماذج تاريخية عامة أو بشرية خاصة لغرض التأثير في المتلقي وتمكينه من الفهم «ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل؛ فأدخلت يدك في الماء، ثم قلت له: انظر هل حصل في كفي من الماء شيء؟ فكذلك أنت في أمرك كان لذلك ضرب من التأثير في النفس، وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد»[4].

تتشابه مجموعة هذه الوحدة المفردة الرمز في عدم تعيين المتلقي مباشرة، وإن كان يفهم عرضًا، ومن ثَمَّ يكون المتلقي المستهدف في (سورة ص) هو الكافر الموصوف بالشقاق، بالدرجة الأولى لتعبيره سبحانه وتعالى بأسلوب إضراب بعد المطلع الأساسي ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ [ص: 2]، وهو أسلوب نراه يماثل أسلوب سورة(ق) حين يظهر الإضراب عن المتعجب حتى ليبدو هو نفسه الكافر المتعجب: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: 2]، وكل ذلك يبين أن السور القرآنية تشكل بنية متماسكة يحكمها نسق عجيب يمكن اعتماده في حل إشكالات النص كلها بما في ذلك خصوصيات رمزية المطالع ودلالاتها التي ظلت أمرًا مستغلقًا، وخصوصية ضرب المثل لإزالة إشكال الفهم المتعلق بالرمز.

1- النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، إعراب القرآن للنحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ، (3/ 302).

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23/ 203).

3- المصدر نفسه.

4- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (ت 739 ه)، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، الناشر دار إحياء العلوم، بيروت، سنة النشر، 1419هـ، 1998م، (206).

من هنا يُتصور أن يكون المنهج المناسب الذي يحلل في ضوئه نص السورة لا كتشاف سر العلاقة بين الرمز والمطلع ومحتوى السورة هو المنهج الاستقرائي النظمي النسقي الإحصائي[1]، للنظر في أحوال الرمز(ص) وعلاقته بنسق الآيات في السورة وعلاقتها بالمطلع بوصفه المركز الذي يحتوي (آية رمزية عميقة)، ثم علاقة كل ذلك بأمور ثلاثة في المحتوى؛ اللفظ المعبر عن الحرف الرمزي، وخاتمة السورة، وإستراتيجية المثال، وعلاقتها بالمتلقي المستهدف بموضوع معين يفترض أن يكون هو المعبر عن دلالة الرمز (ص)، وهو الذي يحتوي اللفظ الأساسي الناطق بالرمز صوتًا ودلالةً واستقطابًا. وكل ذلك في استحضار النظر في دلالات العبارات ونسقها، لاسيما الضمائر الدالة على منشئ النص المنزل للسور لشدة التشابه بين تلك المطالع، والخواتيم التي سنعمل على تحليلها للنظر في علاقة المحتوى بالمطلع بحكم كون المطالع منطقيًا هي المؤشر الأساسي في مقاصد الكلام، فتكون دلالته كدلالة العنوان على المعني، ودلالة الكلمات على الأشياء في دقة إشارته، دون نسيان المتفق والمختلف منها؛ إذ لا يمكن إلا أن يكون الاتفاق في الآية الرمزية في المطلع دالا على تشابه محتوى السورة ومقاصدها؛ لأن أسلوب الله (عزَّ وجلَّ) يتعالى عما لا يحقق منفعة وغرضًا بيِّنا قويًّا، كما أن النظر في الاختلاف في متممات المطلع الرمزي لا بد أن تكون دالة على ما يميز هذه عن تلك، حتى يستحيل التكرار للموضوع؛ لأنه يفقد عندئذ خصوصيته، فمتى اختلف المطلع أو الرمز فهناك مؤشر لاختلاف الغرض من السورة، وإن توهم الإنسان، لقصور فهمه لمراد الله من خطابه، بأن الأمر مكرر لغرض من الأغراض التي تشكل وعي الإنسان بحسب محيطه، كأن يُوصف القرآن في سورة بالذكر، في قوله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ [ص: 1، 2] أو يوصف بالمجيد في قوله: ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ [ق: 1]، فيدل حينئذ على الاختلاف في ظلال التفاصيل كما دلت المطابقة على الاتفاق على المرتكز، ولمَّا ذهب بعض المفسرين إلى القول: «إنما سمى الله من آي الكتاب «المتشابه»، الحروف المقطَّعة التي في أوائل بعض سور القرآن، من نحو: «ألم» و «ألمص»، و «ألمر»، و «ألر»، وما أشبه ذلك؛ لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجمَّل[2]. فإن ذلك يستوجب منهجيًّا أن يكون المسلك السليم في بحث الإشكال عمليًّا هو اعتماد بناء فهم دلالة الرمزي من تلك الحروف لكونه من المتشابهات

1- يؤخذ هنا بمفاهيم استخدمها الجرجاني في الدلائل ص 38، والبقاعي في نظم الدرر، و الغرناطي في ملاك التأويل (174 - 177)، بشأن الإحصاء الصوتي.

2- الطبري، جامع البيان، ت شاكر (6/ 179)، وحساب الجمل نوع من التأويل يعطي للحروف قيمة عددية وقد رفض العمل به كثير، ينظر: الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق (ص: 152)، وينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: 331)

على المحكم لكونه من البينات وهو ما نستأنسه من رأي الطبري بأن الآيات المحكمات بالبيان هن أصل الكتاب الذي عليه عمادُ المتلقي، وعماد الأمة في الدّين، وإليه مفزعُه ومفزعهم فيما افترض من شرائع الإسلام و أن آيات أخر متشابهاتٌ في التلاوة، مختلفات في المعاني تبنى عليها في الفهم؛ وذلك أن جميع ما أنزل الله (عزّ وجلّ) من آي القرآن على رسوله (صلى الله عليه وسلم) فإنما أنزله عليه بيانًا له ولأمته وهدًى للعالمين، وغيرُ جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجةُ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل[1]؛ وعلة ذلك أَنَّ الْمُحْكَمَ دَلِيلُهُ وَاضِح كَدَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَالْمُتَشَابِهَ مَا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ من خلال فهم الرصيد المحكم، لاسيما وقد قيل: إنَّ الْمُحْكَمَ مِنْ آيِ الْكِتَابِ مَا لَمْ يَحْتَمِلْ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابِهَ: مَا احْتَمَلَ مِنَ التَّأْوِيلِ أَوْجُهًا، ويذهب رشيد رضا إلى إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ المحكمات هِيَ الْأَصْلُ الَّذِي دُعِيَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَفْهَمُوهَا وَيَهْتَدُوا بِهَا، وَعَنْهَا يَتَفَرَّعُ غَيْرُهَا من المتشابه كالحروف الرمزية وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ، فَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْنَا شَيْءٌ نَرُدُّهُ إِلَيْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالرَّدِّ أَنْ نؤوله بَلْ أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يُنَافِي الْأَصْلَ الْمُحْكَمَ الَّذِي هُوَ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَسَاسُ الدِّينِ الَّذِي أُمِرْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ إِلَّا احْتِمَالًا مَرْجُوحًا[2].

المبحث الثاني: الجانب التطبيقي على سورة (ص)

لقراءة بنية الرمز (صاد) دلاليًّا في سورة (ص والقرآن ذي الذكر) بغرض التعرف على إستراتيجية بناء السورة في علاقتها بالرمز في المطلع، سأركز على آليات منهجية أساسها الاستقراء، واعتماد نظريتي النظم والنسق عند القدماء، ونظرية الإحصاء عند الغرناطي الأندلسي.

وسأبين تلك الإستراتيجية من التركيز على علاقة الرمز(صاد) ببناء السورة كنموذج نتوقع أن تشير ظلال الإيحاء والأمثلة في متنه على دلالة الرمز، ومعناه المقصود بإذن الله، وفق الفقرات التالية:

1. إن سورة ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ [ص: 1] ميزتها الأولى أن المفسرين لم يعدوا الحرف (ص) آية مستقلة، كما هو الحال مع السور ذات الحرفين فأكثر، كما هو الحال

1- الطبري، جامع البيان ت شاكر (6/ 174 - 180).

2- رشيد رضا، محمد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1990م، (3/ 136).

في ﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف: 1 - 3]. فكيف فسر العلماء ذلك؟

لئن اتفق العلماء من أَهْلِ الْعَدِّ عَلَى أَنَّ حرف {ص} لَيْسَ بِآيَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، بَلْ هِيَ فِي مَبْدَأِ آيَةٍ إِلَى قَوْلِهِ: {ذِي الذِّكْرِ}، فإن ذلك له علاقة كبيرة بالتماسك الذي يميز بنية المطلع جملة بما في ذلك حرف الرمز(ص)، وَإِنَّمَا لَمْ يعد العلماء {ص} آيَةً؛ لِأَنَّهَا حَرْفٌ وَاحِدٌ كَمَا لَمْ يعدوا {ق} و{ن} في آية مستقلة. لاعتمادهم المطلع بنية واحدة تتشكل من الرمز وما بعده لتكوّن آية المطلع ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ [ص: 1]، وذلك تعليل يحتاج إلى تفسير؛ إذ ترى أن المدونين للقرآن في المصحف لم يفصلوا الرمز عن لفظ القرآن ووصفه، ولعلهم كانوا في الرسم ينسجون التدوين وفق السمع من الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي أوصاه الله بدقة النقل والتوصيل فقال: ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴾ [الحاقة: 43 - 46]. فتلك القراءة التي بنيت عليها بنية المكتوب ذات دلالة عميقة على تماسك المطلع، وكون الرمز يمثل عنصرًا مهمًا في نسق السورة لا يمكن تجاوزه مما جعل المفسرين يقفون عنده جميعًا، وفي كل سورة على حدة، على اختلاف مناهجهم في تفسير القرآن الكريم، فترى مثلاً البقاعي وهو أحد المهتمين منهجيًّا بنسق النصوص ونظمها حتى أسمى تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)[1]، يذهب إلى أن الأسلوب افتتح هذه السورة بالإشارة إلى دليل ذلك وهو حرف{ص} وربطه بصفاته الصوتية من رخاوة وإطباق، وعلُّوٍ، وانتشار يملأ الآفاق[2]، ثم ربطه بلفظ {والقرآن} ثم قال: «ولما كان القسم لا يليق ولا يحسن إلا بما يعتقد المقسم له شرفه قال: {ذي الذكر } أي: الموعظة والتذكير بما يعرف... وليزيدن على كل مقدار، كما تقدمت الدلالة عليه بالحرف الأول[3]، فيركز على النظم وعلاقته بدلالة الرمز(صاد)، بينما ترى الشوكاني يذهب إلى أنه قَدِ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى «صَادْ» فَقَالَ الضَّحَّاكُ: مَعْنَاهُ صَدَقَ اللَّهُ. وَقَالَ عطاء: صدق محمّد، فيركز على توقع الدلالة المعجمية، ويختار الألفاظ المحتوية على حرف (ص)، وهكذا ترى جميع المفسرين على اختلاف مدارسهم يقفون عند غرابة التعبير

1- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1995م ج8، ص 620، حيث الإشارة إلى الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبان الآيات في جميع القرآن.

2- يقصد البقاعي (انتشار) الصاد في سورة (ص)، أما الصفات الأخر فهي كما جاء في الميزان في أحكام تجويد القرآن، للأستاذة فريال زكريا العبد، دار القمة الإيمان، (94)، ويذكر أن صفات الصاد هي: الهمس- الرخاوة- الاستعلاء- الإطباق- الصفير.

3- المصدر نفسه (16/ 323).

بالرمز وإعجازه ليقولوا: هُوَ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ[1].

2. والميزة الثانية لمطلع هذه السورة أنه قد ورد حرفها الرمزي مرتبطًا بلفظ القرآن مما يوحي بكون المقصد الأساسي الذي تستهدفه استراتيجية البناء هو بيان سمات القرآن ذاته للدلالة على أنه معجز بذاته إعجاز رمزية مفتتحه. فهذا الحرف(صاد)، به وبالقرآن ذي الذكر تم القسَم، وهذا الحرف من صنعة الله (تعالى)، فهو موجده، صوتًا في حناجر البشر، وموجده حرفًا من حروف الهجاء التي يتألف من جنسها التعبير القرآني، وهي في متناول البشر؛ ولكن القرآن ليس في متناولهم؛ لأنه من وحي الله وهو متضمن كلام الله المعبر عن علمه المطلق بدلالة تلك الحروف مفردة ومركبة، ودالَّة على علمه بمخلوقاته المحتوية في كتابه، فهو صنعة الله التي لا يمك البشر الإتيان بمثلها لا في القرآن ولا في غير القرآن.

3. إنَّ مطلع هذه السورة يتضمن ثلاثة عناصر ستكون مجال إحصاء لتكرارها بطريقة عجيبة في نسق السورة هي (ص، القرآن، الذكر)، لاسيما أن لفظ (القرآن) وصف هنا بالذكر، مما كشف عن وظيفته المقصودة في السورة وإستراتيجيته فيها مرتبطًا بالرمز؛ مما يوحي بالتساؤل: هل يكون محتوى السورة كذلك؟ وكم مرة ذكر لفظ (القرآن) مرتبطًا بصفته المقصودة في السورة (الذكر)؟ وكم مرة تكرر حرف الصاد؟ وما وزنه في إستراتيجية المطلع؟ وما اللفظ الذي يمكن أن يكون مترجمًا لقوة رمز (ص)؟ وما دلالة الذكر الذي وصف به القرآن هنا؟

ومثل هذه الأسئلة توجه المنهج إلى ضرورة الاستقراء بأدواتها المذكورة سابقًا وهي:

1. الإحصاء ودوره في تفسير المطلع ورمزه باعتبار تتبع المكررات الصوتية والدلالية:

إنَّ موضوع السورة من خلال المطلع {القرآن ذي الذكر}سيتضمن بصورة أساسية وظيفة القرآن وهي التذكير، وعند الإحصاء نجد أن لفظ القرآن ذكر مرة واحدة، بينما تركز النص على لفظ (الذكر والتذكير) بمادته اللغوية مما يدل على دوره الإستراتيجي في بناء موضوع السورة، كما يدل على ذلك تكراره إحدى عشرة مرة (11مرة) آخرها في الخاتمة قوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾، حيث يعود الضمير (هو) على لفظ القرآن ذي الذكر في المطلع، وباستخدام نظرية الغرناطي في تكرار الحرف الرمزي في المطلع

1- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، الناشر، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، (4/ 481).

كمفتاح لسر بناء المطلع الرمزي (صاد) يكون المحصول هو تكرار حرف (ص) ثماني وعشرين(28مرة)، وذلك ما سيتبين من العمليات الإستقرائية الإحصائية الآتية:

1.1. تَكرار حرف الصاد واللفظ الأكثر دلالة على المقصد الاستراتيجي:

قلنا قبلُ إنَّ الغرناطي يرى أن الإحصاء الصوتي يمكن أن يكون منهجًا لبحث دلالة الرمز في أي سورة تنتظم مطالع رمزية، تبدأ هنا بالتركيب القائم على أسلوب القسم: (ص والقرآن ذي الذكر)، ويستمر في نسق السورة بألفاظ مرتبة: (مناص، واصبروا، أصحاب الأيكة، صيحة واحدة، اصبر على ما يقولون، فصل الخطاب، نبأ الخصم، خصمان، الصراط، عملوا الصالحات. الصَّافِنَاتُ الجياد حيث أَصَابَ، بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ، مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ، وجدناه صابرًا، والأبصار، إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ، الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ، قَاصِرَاتُ الطرف، يصلونها، صَالُوا النَّارِ، زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ، تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، إِذْ يَخْتَصِمُونَ، الْمُخْلَصِينَ).

ونستنتج مبدئيا بالنسبة لتكرار صوت الحرف هنا أن حرف الصاد قد تكرر في هذه السورة ثماني وعشرين (28مرة).

وعند النظر في ثقل الكلمات من خلال مجموع الكلمات التي تحمل حرف (ص) في مقدمة بنيتها كما يبرر منطق البحث نجد التالي: (أصحاب، صيحة، الصراط، الصالحات، الصَّافِنَاتُ، صابرا، صَالُوا).

وإذا بحثنا عن أكثر هذه المفردات تكرارًا، وأقواها دلالة لارتباطها بالمحتوى ومقاصده الاستراتيجي وجدنا أنها هي كلمة: (الصبر)، كما تبدو من الآيات الثلاث التي جاءت في سياق النص لتعبر عن خلق (الصبر) الذي استحق أن يُرمز له بالرمز (صاد) في مطلع السورة، تعبيرًا عن قوته وفعاليته في نسق السورة؛ إذ صياغة المطلع مع متمماته تكشف عن الموضوع الجوهري للسورة كما يفهم من المطلع ومتمماته: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ [ص: 1، 2] حيث نحصل عل معادلة بين صبرين؛ صبر الكافر، وصبر المؤمن؛ فالكفار على ضلالهم حين يحسون بالمنعة والغلبة الوهمية، ربما دفعهم ذلك إلى الغرور والتفكير في القهر والعناد؛ لأن الشِّقَاق هو الْعِنَادُ وَالْخِصَامُ؛ لذلك انطلق كبارهم من أهل المشورة مجتمعين ليوجهوا العامة ليمشوا ويتحلوا بالصبر على ما هم فيه من دين لا دليل لهم عليه، فجاءت الآية:

1. ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [ص: 6]، وهي آية تحتوي لفظ (الصبر) وتعبر عن الحوار بين المشركين والضالين وتواصيهم فيما بينهم بالتحلي بخلق الصبر على ضلالهم، مما يدعو إلى التساؤل: أفيكون الفاسق أكثر صبرًا على (الباطل) من المؤمن أمام (الحق)؟

إذا استمر القارئ في نسق النص فسيجد أن نسق السورة سيعدِّل منطق الحقائق الكبرى، وسيعيد ذكر الصبر في مستوى المؤمن في سياق توجيه الله لنبيه بأهمية التحلي بخلق الصبر، في قوله بعد ذلك:

2. ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: 17، 18].

ولكن من الواضح أن العقل سيتساءل لكي يفهم: إذا كان ذكر الصبر هنا؛ لأنه مفردة أساسية في بناء الموضوع وتكوين معادلة الفلاح، فلماذا جاء بعده وفي الآية نفسها، عبارة تشيد بذكر عبد الله داوود؟ أليس في ذلك ما يدل على وجود علاقة قوية بين الأمر بفعل الصبر للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وبين تجربة النبي داود عليه السلام؟

من هنا ندرك أن القرآن الكريم يستخدم آلية التفهيم بدرجات حتى يصل العقل إلى الاستيعاب للمطلوب، والدرجة المنتظرة هنا لتقوية التوصيل ليتم الإدراك هي إستراتيجية الأمثلة التي تحمل تجارب؛ لذلك بالضبط جاءت هنا تجربة داوود ذي الأيدي، ثم وصف صاحب التجربة بعد هذه الصفة العملية بصفة أخلاقية مدعمة هي كونه كثير الرجوع {إنه أواب}.

وإنما يكثف القرآن هنا أمثلة حسية ليتم إدراك فاعلية المجرد، بواسطة الدليل المحسوس الذي سنبينه في المعادلة، «ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنَّك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له: انظر هل حصل في كفي من الماء شيء؟ فكذلك أنت في أمرك، كان لذلك ضرب من التأثير في النفس، وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد»[1].

يرى ابن عاشور أن هذا الأمر: {اصبر على ما يقولون يعود إلى مواقفهم الموضحة في

1- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (ص: 206).

الآية السابقة على أقوالهم جاء عقب مواقفهم التي كانت تؤذي النبيء كالتكذيب له في أمر نزول القرآن كما يبدو من ملحقات مطلع السورة التي كانت تحمل الإضراب كقوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾[ص2] بَعْدَ أَنْ وُصِفَ الْقُرْآنُ بِ (ذِي الذِّكْرِ)، استثارهم الْوَصْف؛ لأنه يُشْعِرُ بِأَنَّهُ ذِكْرٌ وَمُوقِظٌ لِلْعُقُولِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّهُ لَذِكْرٌ؛ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} يَجْحَدُونَ أَنَّهُ ذِكْرٌ وَيَقُولُونَ: {سِحْرٌ مُفْتَرًى }، بل ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾ [ص: 4] لذلك جاء هُنَا، بِأَمْرِ اللَّه رَسُوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالصَّبْرِ عَلَى أَقْوَالِهِمْ إِذْ كَانَ جَمِيعُهَا أَذًى: إِمَّا صَرِيحًا كقولهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٞ يُرَادُ ﴾ [ص: 6] وقولهم بعده: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ [ص: 7]، وَإِمَّا ضِمْنًا، وَذَلِكَ مَا فِي سَائِرِ أَقْوَالِهِمْ مِنْ إِنْكَارِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالِاسْتِهْزَاءِ كقولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ [ص: 16]، فمن أجل ذلك وجه الخطاب للرسول (صلى الله عليه وسلم) ليثبته، ويعلمه خلق الصبر[1].

فنتساءل: ألا يكون ذلك دالاً بوضوح على ترتيب منطق الأحداث في ضوء فاعلية {القرآن ذي الذكر} ودوره في تنمية فاعلية الصبر؟، ونتساءل أفلا يدل ذلك على أن ثنائية (الصبر والذكر) هي المفتاح في المعادلة؟ وهل تؤكد ذلك بوضوح أكثر الآية الثالثة في نسق دلالة الكلمات على مواقف الصبر؟

3. ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثٗا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[ص: 44].

هنا تأتي الآية الثالثة الحاملة لمفردة (الصبر) لتعبر عن تجربة نبي من الأنبياء في أهمية خلق الصبر ودوره في النجاح الاجتماعي والأسري، ومع أن الموقف هنا موقف اجتماعي يكون الصراع النفسي فيه أقل درجة من الصراع في المجال العقدي، كما رأينا في النموذجين السابقين؛ نموذج صبر الكافر على معتقده، ونموذج صبر المؤمن على معتقده، مع ذلك فإنَّ القرآن عده نموذجًا عمليًّا للصبر؛ إذ لم يكتف بوصفه: { إنا وجدناه صابرا} بل أثنى عليه بما هو أهل له ليكون قدوة في المجال الاجتماعي فقال: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)}، فقد جاء موقع قصته موقع الاعتبار والقدوة» [2] كما سنبين دورها الإستراتيجي في بناء النص.

من أجل ذلك أعد خُلق (الصبر) هو المقصود في المطلع للدلالة على الرمز(صاد)، لكن الصبر يرتبط بنوع العوامل التي يتعلق بها وهي هنا (القرآن ذي الذكر) باعتبار (الذكر)

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 226).
2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23/ 272).

وظيفته المستهدفة في بناء السورة، وهو اللفظ الذي سيأتي بيانه بوصفه عنصرًا أساسيًّا في المعادلة التي تبنى عليه إستراتيجية بناء السورة كاملة، ويؤيد ذلك تركيب المطلع؛ إذ تحيَّر علماء اللغة في إعرابه، وأكثرها دلالة على ما نقول رأي الزمخشري؛ إذ يفضل جواب القسم في قوله تعالى: {ص والقرآن ذي الذكر} أن يكون (صاد) خبر مبتدأ محذوف، على أنه اسم للسورة، كأنه قال: هذه (صاد)، يعنى: هذه السورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذى الذكر[1]، ويؤيده من يرى أَنْ يَكُونَ الخبر محذوفًا دَلَّ عَلَيْهِ حَرْفُ (صاد)؛ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ التَّحَدِّي بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَعَجْزِهِمْ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِأَنَّهُ كَلَامٌ بِلُغَتِهِمْ وَمُؤَلَّفٌ مِنْ حُرُوفِهَا فَكَيْفَ عَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَتِهِ. فَالتَّقْدِيرُ: وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ أَنَّهُ لَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِهَذَا عَجَزْتُمْ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ على الرغم من تكوينه من تلك الحروف التي منها (صاد)[2].

أفلا يكون اختيار (الصاد) في مقدمة المطلع مقصودًا قصدًا للثناء على خلق الصبر وعلو مكانته في مسار الأنبياء والصديقين الذين يعملون بالقرآن ذي الذكر، الذين أمروا جميعًا بالصبر على تبليغ {القرآن ذي الذكر}، وهو اللفظ الثاني الذي سنتناوله في الفقرات الآتية.

1.2. تكرار لفظ (الذكر): علمنا سابقًا أن المطلع {ص والقرآن ذي الذكر} المحكم بشدة بوصفه قسمًا قد تكرر في نص السورة (12 مرة)، بكون (الذكر) صفة للقرآن مقصودة في بنية مطلع السورة ونسقها معًا، يعبر عن وظيفة من وظائف القرآن، وهنا نتساءل عن دلالة تكراره في الآيات المنتظمة المتتابعة في نسق السورة، وعلاقة ذلك بالمطلع ورمزه (صاد): فكيف انتظمت علاقة وصف القرآن بوظيفة الذكر بالحرف الرمزي (صاد)؟ وما دلالة تكرار ذلك اللفظ الذي وصف به القرآن الكريم ليحدد وظيفة من وظائف التنزيل؟ وما سر سوق الأمثلة من تاريخ الأنبياء؟

ذلك ما سنعالجه في السورة من دراسة نسق الآيات المتضمنة الألفاظ المكررة الدالة على اللفظ الأساسي في المطلع بوصفة دالاًّ قويًّا في نسق الآيات الآتية:

1.2. إحصاء للفظ (الذكر) فينسق السورة بوصفه مفتاحًا دالاًّ على الطرف الثاني من الإشكال:

الألفاظ هي الوحدات التي عنها ينشأ النص وينتظمه بناء الخطاب، ومن خلاله

1- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 70).
2- ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 204).

تتشابك عوامل وحروف معانٍ، وروابط حتى تكوِّن جملاً تكوّن بترابطها نصوصًا؛ لكنها هنا تتميز بكونها تشكل نصًّا كوني اللغة؛ لذلك تلبس الجمل صفة الآيات، والآية شيء يفوق العبارة في دلالتها على الحق بالصورة المعجزة في مبناها ومعناها.

إنّ نسق السورة يتضمن ثماني عبارات متناسقة تتضمن لفظ (الذكر) كوحدة جوهرية في تلك الآيات؛ لذلك وصف القرآن بها في مطلع السورة فقال تعالى:

1.2.1. ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص: 1]، وهذه العبارة في المطلع، آية قرآنية، تتضمن القَسَمَ، بحرف (ص) مرتبطًا بالقرآن الموصوف بوظيفة الذكر والتذكير، وسنبين التذكير بوصفه يعني (الإشهاد) لاحقًا.

2.2.1 ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: 8]، ويتبين منه إشارته إلى أن وظيفة الكتاب المنزَّل هي الذكر حتى سمي به، إضافة إلى الإشارة للجهة المصابة بالشك في (الذكر) الذي أنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم). لقد أنكروا عليه أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم، وينزل عليه الكتاب من بينهم، كما قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ وهذا الإنكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوّة من بينهم، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ من القرآن[1]، وعلى هذا فإن على النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يتحلى بالصبر ليتمكن من الوقوف أمام الحرب النفسية التي يعلنونها في وقت متقدم طمعًا في إطفاء بريق النور الذي أخذ ينتشر كشعاع شمس الضحى، وله في من قبله قدوة.

3.2.1 ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: 29] وفي الآية إشارة إلى الكتاب، أي: القرآن ووظيفته، وهي التذكر الذي يتميز به أولوا الألباب، ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به[2]. إذ لمَّا ثبت من أول السورة لغاية هذه الآية وهو يقدم البراهين التي لا يرفضها إلا من يفتقر إلى العقل أو من هو مدخول الفكر ثبت أنه ذو الذكر والشرف الأعظم، وعلى أنه القانون الذي يعرف به الصلاح ليتبعه أولو الألباب، ووصفه بالنزول للدلالة على أنَّه كان في المقام العلوي، ونعته بالمباركة تأكيدا لديمومة الخير وكثرة النفع فكل ما فيه ثابت لا يزول أبدًا، ولا ينسخه كتاب ولا شيء. ولمَّا ذكر ما له من العظمة إشارة وعبارة، ذكر

1- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 74).

2- الطبري، جامع البيان، (190).

غاية إنزاله المأمور بها فقال: {ليدبروا}، أي: لينظروا في عواقب كل آية، وما تؤدي إليه من العلوم، وتوصل إليه من المعاني الباطنة التي أشعر بها طول التأمل في الظاهر[1].

ثم إنَّ هذه السورة ورد فيها لفظ (آية) مرتبطًا بلفظ (الذكر) مبيِّنًا لهدف السورة ومحددًا لعلاقته بلفظ النسق الأساسي في المطلع (القرآن ذي الذكر) للمستفيد من ذلك في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: 29]، وبذلك يحدد المقصود بالتمكن من (الذكر)، وهم (أولو الألباب) بوصفهم مخصصين لخلُق الإشهاد، ومعناه أن هذا (القرآن) المشار إليه في المطلع مرتبط بالحرف الرمزي (ص والقرآن) يتضمن آيات دالَّة على الحق لمن يريد أن يؤمن ويصدق ويتدبر ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾، وإنَّما ورد فيها ما يدل على نوايا القوم وتكذيبهم بالآيات التي جاء بها الرسول(صلى الله عليه وسلم)، مما أدى إلى أن يهددوا للاعتبار بآيات تاريخية كقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص: 12 - 16] فالضمير في (قبلهم) يعود على قريش، ومن ثَمَّ يكون قوله: {ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة } تهديد بالآية الاستئصالية الدالَّة على قدرة الله الذي لم يؤمنوا به، ولم يصدقوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) فيما جاء به من آيات الذكر لإثارة (الإشهاد) في النفوس؛ إذ إنَّ تلك الإثارة لا تتم إلا عن طريق مؤثر قوي هو النص المقروء بصفته المميزة التي تصل إلى الإعجاز بلاغة تحرك القلوب وفصاحة تستلفت الانتباه، مما جعل بعض الباحثين القدماء يذهب إلى القول بأن غرض الحروف الرمزية في مطالع السور هو تنبيه الغافلين، فقيل: «بَلِ ابْتُدِئَ بِهَا لِتُفْتَحَ لِاسْتِمَاعِهَا أسماعُ الْمُشْرِكِينَ -إِذْ تَوَاصَوْا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ -حَتَّى إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ تُلي عَلَيْهِمُ ذلك القرآن المؤلَّف من تلك الحروف[2]، ومعناه أن لهذه الحروف أغراضًا في إستراتيجية البلاغة للفت الانتباه، فإذا سُمع حقق الفهم، وإذا تم الفهم ثبتت الحجة ببلوغ الذكر، وهو ما تشير إليه الآية من قول الله تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة: 6].

فحين يسمع المتلقي أصوات الحروف ينتبه ليفهم، وبذلك تحقق الآيات السمعية أهدافًا مستدامة قد لا تحققها الآيات الحسية التي كانت مسلكًا لمن كانوا قبل عهد القرآن

1- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (16/ 375).
2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة (1/ 160).

الكريم بدلاً من تلك الآيات الحسية التي كان بنو إسرائيل يمثلون تجربة في عدم الانتفاع بها، وأنَّها لم تعد تدرك، ولم يبق معهم إلا الدليل عليها، وهو ذكرها في التوراة والإنجيل والقرآن، للتذكير بمن جاء بعد عهد نبوة موسى وعيسى (عليهما السلام) وسنرى أن السورة ختمت بما يدل على أن (آيات القرآن) دليل على صدق النبوة لتدرك من كل الناس، وعلى مرِّ التاريخ، فقال: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص: 86، 88].

3. إستراتيجية التمثيل بالتجارب التاريخية لبيان تضافر خلقي الذكر والصبر.

من أجل الإقناع أُشبعت السورة بنماذج من الذاكرين الذين يستحقون الذكر؛ ليكونوا قدوة للمتلقين، ومن ذلك ورود نماذج تطبيقية عن سير الأنبياء (عليهم السلام) يدل على التذكر، وفائدته متجلية في تجربة كل من داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم، وإسماعيل.

وسنلاحظ أنَّ كثيرًا ما ترتبط وقائع قصة النموذج القدوة في القصة بصفات تبين سرَّ اختيار هذه القصة في موقعها من السورة كذكر (الاستغفار)، أو الأوبة، فما الاستغفار في مثل هذا إلا مؤشر تذكر نبي الله داود بعد الشعور بالوقوع في الفتنة، وقد وُظِّفت تلك النصوص لبيان بعض الأساليب التربوية التي يجعلها الله امتحانًا وفتنة للإنسان؛ ولذلك أعقب الاستغفار بالإنابة والركوع العميق، وورد التنبيه لخطر النسيان، وورد نموذج التذكير بأهمية التذكر، وذلك ما سيتبين من نماذج القصص الآتية:

1. قصة داود ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ **[ص: 17]**

في مطلع القصة نجد الربط بين توجيه الوصية بالتمسك بالصبر إلى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: 17]، أي ثم يعقبها مباشرة النموذج، أنه قد أمره (صلى الله عليه وسلم) بالتحلي بالصبر على المكائد القولية والعملية التي يقوم بها مشركو قريش الذين كانوا يتواصون، كما رأينا سابقًا، بالتحلي بالصبر على عبادتهم؛ لذلك عليك يا رسول الله أن تصبر أنت أكثر منهم على أقوال مشركي قومك لك مما تكره، فإنَّ في ذلك امتحانك بالمكاره كما جرى امتحان سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلوّ والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك، فتلك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك، فمنهم عبدنا أيوب وداود وفي ذلك إشارة إلى الثناء على داود بسبب ما تميز به من الصبر و(الأوبة) أي: التذكر العملي للإشهاد الفطري، إضافة لكونه قدم هنا نموذجًا للصابرين أمام الامتحانات، ويعني بقوله (ذَا الأَيْدِ) ذا القوّة والبطش

الشديد في ذات الله والصبر على طاعته[1].

وتستمر القصة لتكشف عن الفتنة وغرضها واستغفار النبي (عليه السلام) بعد الانتباه للامتحان، ليسجد راكعًا منيبًا: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: 24].

وتستمر القصة لغاية نهايتها التي تحمل توجيهًا تقريريًّا في الآية: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 26].

من الفتنة إلى الاستغفار إلى الركوع والرجوع إلى الله، تكون القصة قد قدمت للرسول (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا للقدوة لتوجيه في مجالات الحياة في علاقتها بعبادة الله، وذلك ليكون مهيئًا نفسيًّا وخُلُقيًّا لتحمل مسؤولية الخلافة في الأرض وأول مبدأ المسؤولية العدل والحكم بالحق وتجنب الأهواء؛ لأنه السبب في الضلال عن المنهج القويم، لكن الآية تنهي نموذج القدوة ببيان سرِّ الأسرار في بناء السورة وهو (النسيان) وآثاره في انتكاس الإنسان، مما يعني بمفهوم المخالفة أهمية (الذكر) في استقامة الإنسان، أي: إن في ذلك عودة إلى { القرآن ذي الذكر}.

وتأتي الآية بعد ذلك في نسق تكرار لفظ الذكر، لتقدم بيانًا لعلة تنزيل الكتاب، الذي وصف في المطلع بأنه قرآن ذو الذكر، ولكنها هنا تضيف صفة أخرى وهي أنه مبارك، وتبين أن وظيفة التذكير القرآني إنما يستفيد منها قوم معينون بصفات عقلية مميزة ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 29، 30].

2. قصة سليمان: وتأتي مرتبطة بداود

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص: 30، 31].

إلى قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: 32]،

وفي القصة يستمر نسق الآيات في تكرار لفظ (الذكر) للتعبير عن وظيفة من وظائف

1- الطبري، جامع البيان، ت شاكر (21/ 166).

القرآن المقصودة في هذه السورة، وهو الرجوع إلى الذكر والأوبة إلى الله، فيعطي نموذجًا تاريخيًّا آخر يتميز بخصوصية خُلق الذكر في اللحظات التي تستعرض فيها ملاهي الحياة فينطق بالشكر بعد الشعور بالخطر (فقد أحب حب الخير عن ذكر الله، وقيل: أقبل يمسح سوق جياده وأعناقها بيده إكرامًا منه لها بعد أن فرغ من صلاته[1]، فقوله {عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الشَّدِيدَةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ لَا عَنِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى[2]، وذهب ابن عاشور إلى أن العبارة {عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} قد يكون الْمَعْنَى: أَحْبَبْتُ الْخَيْرَ حُبًّا فَجَاوَزْتُ ذِكْرَ رَبِّي. وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ الرَّبِّ الصَّلَاةُ، فَلَعَلَّهَا صَلَاةٌ كَانَ رَتَّبَهَا لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ وَقْتَ الْعَشِيِّ لَيْسَتْ فِيهِ صَلَاةٌ مَفْرُوضَةٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى إِلَّا الْمَغْرِبُ[3]:

وسواء أخذنا بأي رأي من تلك الآراء في تأويل (ذكر ربي) فإنَّ الذي يعنينا في هذا هو دلالة تكرار الذكر عبر نماذج من الصالحين للدلالة على وظيفة القرآن التي خصت بها هذه السورة، فقال: {ص والقرآن ذي الذكر}، ومن ثَمَّ يكون حرف (صاد) يؤول في جميع تلك الأحوال إلى ثنائية (الصبر والشكر)، أي: التربية على خلق الصبر عن الأهواء أو في مجال الشكر والعبادة عند وقوع النعم، فهي جميعًا تتطلب (الصبر) وهو لا يتحقق إلا بـ (استدامة الذكر). لذا يتضمن {عن ذكر ربي} إشارة إلى ذكر الله فيأثناء الحركة العملية الدنيوية، وهو فعل لا يتم إلا إذا استثيرت فاعلية (الإشهاد) الكامنة في أعماق الضمير البشري جملة كما بيَّنا سابقًا.، ولذلك ما فتئت السورة تقدم نماذج للاقتداء بها في خلق الصبر، فتستمر لتبين أثر (فتنة الكرسي): ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: 34]، ومع أن التاريخ لا يقدم تأويلا يقبله العقل في هذه الفتنة فإن أقرب التأويلات ما ذهب إليه الرازي من أن الذي أُجلس على كرسي الحكم هو «تمثال وصورة لا حقيقة لها»[4]، والذي يتبين أن التعبير هنا مجاز، تقديره أن الذي امتحن به في كرسي الملك هو البديل الغافل عن (الذكر) ليكون عبرة لسليمان وللتلقي الواعي كما يفهم من النتيجة {ثم أناب}؛ لأن الإنابة لا تتحقق للمرء إلا حين يستيقظ فيه (الإشهاد). وهو ما يؤيده نسق نص القصة في قوله:

1- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (المتوفى: 465هـ)، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر الطبعة الثالثة، (3/ 254).

2- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، (26/ 390).

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 255).

4- الشيخ علوان، نعمة الله بن محمود النخجواني، (المتوفى: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (2/ 233)، الناشر: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م، (2/ 233).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [ص 35]، وهذا غرض النموذج الأكبر؛ إذ إنَّ غرض تعداد مَنَاقِبِ سُلَيْمَانَ يتضمن مَقَاصِدِ الاقتداء أو العبرة وهو «تَحْذِيرٍ عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي ابْتِدَارِ وَسَائِلِ الْإِرْشَادِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ»، مما يعني أنِ القصة تشير إِلَى فِتْنَةٍ عَرَضَتْ لِسُلَيْمَانَ تعبر عن اهتزازات بين المضار وأسبابها، والمنافع وأسبابها، يعيشها الإنسان في مرحلة المسؤولية تعقبها مرحلة إِنَابَةٌ ورجوع فَذُكِرَتْ عقب سرد الأحداث المتناقضة التي تكون نتيجة مَا يَنَالَ الإنسان مِنَ السَّهْوِ عَنْ عِبَادَتِهِ التي هي مظهر البرهان على العمل بالذكر أو نسيانه؛ إذ الْفِتْنَةِ هي اضْطِرَابُ الْحَالِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَظْهَرُ بِهِ مِقْدَارُ صَبْرِ وَثَبَاتِ مَنْ يَحِلُّ بِهِ مكروه أو تحل به سعادة[1].

3. قصة أيوب: قلنا قبلُ: إنَّ القرآن يستخدم في إستراتيجية الفهم الأمثلة التاريخية لقوة دورها في الإقناع؛ وهذَا مَثَلٌ ثَانٍ من الأمثلة التي تساق لبيان ثنائية (الذكر والصبر) وهذا المثال يتعلق بتجربة نبي الله أيوب (عليه السلام): ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾ [ص: 41، 42].

لقد أمر النبيء(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليذكر في مجالس التربية عبدًا من عباده المخلصين ليكون أُسْوَةً للمتلقي فِي الصَّبْرِ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَى اللَّهَّ فِي كَشْفِ الضُّرِّ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ ﴾ [ص: 17] وَلِكَوْنِهِ مَقْصُودًا بِالْمَثَلِ أُعِيدَ مَعَهُ فِعْلُ (اذْكُرْ) كَمَا يفهم من الموقف السابق بشأن نبي الله داود[2]، وفيه إشارة إلى أن التذكر أدى إلى النداء والاستغاثة بالله مما جعل صاحب النداء يستحق الذكر بوصفه متذكرًا {إذ نادى ربه} حين مسه الشيطان، لينسيه الذكر ويبعده عن (الإشهاد)، وَخُصَّ هَذَا الْحَالُ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ أَحْوَالِهِ لِأَنَّهُ مَظْهَرُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهَّ وَاسْتِجَابَةِ اللَّهَّ دُعَاءَهُ بِكَشْفِ الضُّرِّ عَنْهُ[3]، ولذلك تستمر القصة مع فاعلية (الذكر) الذي ينفع أكثر ما ينفع عن طريق بيانات التجارب لأولي الألباب، وهم الذين تتميز ثقافتهم بالجمع بين الإدراك العقلي المنطقي والقلبي الناجم عن الإيمان[4].

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: 43] ففي هذه الآية إشارة إلى ما من شأنه أن يجعل قلوب أولي الألباب متصلة بذكر ربهم، وفي رأي ابن عاشور يقصد

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23/ 259).
2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23/ 268).
3- المصدر نفسه.
4- ينظر: أحمد عثمان رحماني، سميائية الآيات كتاب (تحت الطبع).

الذّكر والتَّذْكِيرُ لأَهْل الْعُقُولِ، بِمَا خَفِيَ أَوْ بِمَا يَخْفَى؛ أَيْ: تَذْكِرَةٌ لِأَهْلِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ. فَإِنَّ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ مُجْمَلُهَا وَمُفَصَّلُهَا مَا إِذَا سَمِعَهُ الْعُقَلَاءُ الْمُعْتَبَرُونَ بِالْحَوَادِثِ وَالْقَائِسُونَ عَلَى النَّظَائِرِ اسْتَدَلُّوا عَلَى أَنَّ صَبْرَهُ قُدْوَةٌ لِكُلِّ مَنْ هُوَ فِي حرج أَن يَنْتَظِرُ الْفَرَجَ[1].

وتنتهي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]

فَكَانَ سُلَيْمَانُ أَوَّابًا لِلَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى وَالنَّعِيمِ، وَأَيُّوبُ أَوَّابًا لِلَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الضُّرِّ وَالِاحْتِيَاجِ، وَكَانَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمَا مُتَمَاثِلًا لِاسْتِوَائِهِمَا فِي الْأَوْبَةِ وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الدَّوَاعِي. قَالَ سُفْيَانُ: أَثْنَى اللَّهُ عَلَى عَبْدَيْنِ ابْتُلِيَا: أَحَدُهُمَا صَابِرٌ، وَالْآخِرُ شَاكِرٌ، ثَنَاءً وَاحِدًا. فَقَالَ لِأَيُّوبَ وَلِسُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ.[2]

وسنلاحظ أن الآيات بعدها ترفع من يتمتع بخلق التذكر إلى مستوى المخلصين، الذين يستخلصهم الله لرسالته ويخصهم بذكر الدار، وأي دار لمن يعقل كيف يستثير في قلبه ووجدانه مشاعر (الإشهاد) وقد قدم ذكر إبراهيم (عليه السلام) في سلسلة الذاكرين لصبره على عذاب النار لتحقيق إستراتيجية ضرب الأمثال كسمة للخطاب القرآني في التفهيم لما يعسر فهمه لذاته، أو لأهدافه ومقاصده:

4. سلسلة متتالية من النماذج تشخصها أسماء تختم بصفة مشتركة، لتقدم آلية الاستئناس بالتجارب التاريخية في مجال ثنائية الذكر والصبر، وعلاقتهما بالفوز أو الخسران، ويكثف نص السورة هنا الأسماء دون تفصيل الحديث في الخصوصيات المتعلقة بثنائية الصبر والذكر بسبب تكرار ذلك في سور أخرى، مما يدل على أن النماذج التي تساق للقدوة والاعتبار مكثفة ومنها:

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: 45 - 50].

إن الذكر المكثف هنا من باب الثناء على من يستحقه في العالمين بسبب ما يقدمه من أعمال يدوية وعقلية (أولي الأيدي والأبصار)، وهم مخلصون ليجعلهم الله من الذين يستحقون ذكر الدار، وتخصيص المذكورين هنا بخَالِصَةُ ذكرى الدار، وَالذِّكْرَى: اسْمُ مَصْدَرٍ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ مَعْنًى لفظ (الذكر)؛ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْمَبْنَى تَقْتَضِي زِيَادَةَ الْمَعْنَى. وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 272).
2- المصدر نفسه: (23/ 275).

الثَّلَاثَةَ ذِكْرُ اقْتِدَاءٍ وَائْتِسَاءٍ بِهِمْ، لما عُرِف فيهم مِنْ صبر على أَذَى قَوْمِهِ، وأيضا لاشْتِرَاكُهُمْ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: {أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصارِ} لِيَقْتَدِيَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثَتِهِمْ فِي الْقُوَّةِ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَالْبَصِيرَةِ فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ[1].

وتمضي السورة في تبيان أثر الذكر في تكوين خلق الصبر لغاية النهاية، فيأتي اللفظ ليعيد مقام النسق إلى نشأة مطلع السورة مرتكزًا على اسم الإشارة للقريب (هذا ذكر).

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: 49]، الإشارة (هذا ذكر) تشير إلى المطلع أي: هذا القرآن ذكر، وأنه مفيد في الرجوع إلى الطريق المستقيم لمن اتقى وأصلح، وهو المرجع نفسه الذي ستنهي به السورة رسالتها بشأن نعت القرآن بوظيفة الذكر، بصيغة أكثر توسعًا لتشمل الناس أجمعين وأدق حصرًا لوظيفته، وأكثر استشرافًا للمستقبل فقال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾. وينبغي ألا يصدنا اختلاف الدلالات «لِأَنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ تُطْلَقُ عَلَى مَعَانٍ كَثِيرَةٍ، كَلَفْظَةِ الْأُمَّةِ فَإِنَّهَا تُطلَقُ وَيُرَادُ بِهِ الدِّينُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [الزُّخْرُفِ: 22]. وَتُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا: الرَّجُلُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النَّحْلِ: 120] وَتُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهَا الْجَمَاعَةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ [الْقَصَصِ: 23]»[2].

ومن ذلك لاسيما العبارة ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص: 17]، يتبين أن الذكر كان مرتبطًا بسلوك الصبر، بوصفه خُلُقًا من أخلاق الذاكرين، وأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر به هنا قطعًا مما يمهد للقول بأن لفظ (الصبر) هو المعبر عن الرمز (صاد)، وسنلاحظ في موضع آخر أن الظاهرة تتكرر في سورة أخرى، وأن سوق الأمثلة من التاريخ إنَّما هو إستراتيجية تميز الخطاب القرآني الكريم، وقد سيقت هنا بصورة مكثفة لكون موضوع المعادلة يتطلب الإفهام، فلكي يفهم المتلقي المعادلة المبنية من العلاقة بين المعاناة في تذكير الناس بالعهد الأساسي والصبر على تلك المكابدة، وما ينتظر من فوز في العالمين الدنيوي والأخروي أعني عهد الإشهاد، جعلت القصص أساسًا لفهم العلاقة بين سلوك الإنسان، وحركته في الحياة وتفاعله مع {القرآن ذي الذكر} وهو ما يغير تفكير الإنسان ليكون من أولي الألباب؛ إذ لَمَّا كَانَتْ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَسُوقَةً لِلِاعْتِبَارِ بِعَوَاقِبِ الصَّابِرِينَ وَكَانَ النبي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالْمُسْلِمُونَ مَأْمُورِينَ بِالِاعْتِبَارِ بِهَا مِنْ قَوْلِهِ: {اصْبِرْ عَلى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ} كَمَا تَقَدَّمَ حُقَّ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِمْ «بِأُولِي

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير (23/ 277).
2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة (1/ 158).

الْأَلْبَابِ»[1].

نستنتج من ذلك أن بالإمكان التعبير عن إستراتيجية بناء السورة وفاعلية لفظي الصبر والذكر في النص، كما توجزهما عبارة المطلع تصريحًا ورمزًا: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ [ص: 1] من خلال معادلتي السلب والإيجاب التاليتين:

1. معادلة السلب: المكاره + صبر الكافر الذكر= (الهلاك بسبب إهمال الذكر

وذلك ما يترجم تناسق دلالات الآيات الآتية:

1.1. ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ [ص: 6].

2.1. ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴾ [ص: 2، 3].

3.1. عدم الالتفات للذكر: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ [ص: 8].

2. معادلة الإيجاب: المكاره+ صبر المؤمن + الذكر= النجاة بسبب الأخذ بالذكر

وذلك ما يترجم الآيات:

1.2. ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: 17].

2.2. ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴾ [ص: 49].

3.2. ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: 29]، {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)} [سورة ص].

إن عبارة الآية: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾ [سورة ص] في خاتمة السورة تستثير عودة على مطلعها الرمزي المرتبط بلفظ {ص والقرآن ذي الذكر) وذلك بتكرار لفظ (الذكر)؛ إذ بيّنت أن القرآن كلام الله، وأن وظيفته التذكير، وليس متكلفًا من أحد، فهو كلام الله، وآياته المعبرة عن رسالته إلى الناس جميعًا، لتذكيرهم بـ(الإشهاد)، أي بما يستثيره فيهم الفطرة التي جبلوا عليها، وجدد فيهم ذلك عبر تاريخ الرسل؛ لأن الذكر للعالمين يعني إعادة الذاكرة البشرية إلى أصل الخلق المشير إليه في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23/ 272).

قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الأعراف: 172 - 174]، ففيه، كما يرى طه عبد الرحمن، (إشهاد جبلي) على أنفسهم؛ لكي لا يتبرروا بالنسيان أو يحمّلوا أجدادهم بحكم الموروث الثقافي أمر إهمالهم لعبادة الحق والإيمان به أو بالبعث، فهو ميثاق جبلي بين الخلق وبين الله. فهو كقوله تعالى لبيان تجديد التذكير بجبلة الخلق على العهد: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: 81، 82]، فالميثاق والإشهاد والتذكير تكرر ويتكرر ويتجدد التذكير به على صورة (ميثاق النبيين) ليصير الأمر بعد ذلك على (الإقرار)؛ لكن لن يكون ذلك إلا ممن هداه الله، أما الفاسقون ومن تولى من الخلق فسيكون حالهم التناسي للإشهاد، وسنلاحظ أن هذا يتكرر في موضع آخر من سورة (آل عمران) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ [آل عمران: 187].، لكن هذه المرة يوجه الكلام إلى جانب رسالة الرسل (عليهم السلام)، وما حملوه من ميثاق أهل الكتاب؛ ليبينوا العهد والإشهاد للناس ولا يعملوا على كتمه ووضعه وراء ظهورهم، أو توظيفه لأمور دنياهم، فيخسروا دينهم ودنياهم. قال ابن عاشور: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِإِبْلَاغِ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ السُّورَةُ [سورة ص] أَمَرَهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا أَنْ يَقْرَعَ أَسْمَاعَهُمْ بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ كَالْفَذْلَكَةِ لِلسُّورَةِ تَنْهِيَةً لَهَا تسجيلاً عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَا جَاءَهُمْ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَلَيْسَ طَالِبًا مِنْ ذَلِكَ جَزَاءً»[1].

وهكذا يتبين أن الرمز (ص) في مطلع السورة {ص والقرآن ذي الذكر} هو رمز يكثف المعنى، ويركز الدلالة على أهمية خُلق الصبر، لكوْن السورة تتضمن الإجابة عن الرمز من أن الغرض منه هو الآيات المعجزة الدالة على نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن (الصبر) هو مسلك الأنبياء في طريقهم، لذلك كان مرتبطًا بالذكر منذ تكون المطلع {ص والقرآن ذي الذكر} فكانت العبارة شديدة التلاحم، وأن تظافر الإحصاء الصوتي للرمز، ودلالة (الذكر) وفق نظرية الغرناطي، وتراتبية العبارات في نسق السورة وفق نظرية النظم، وتكثيف الأمثلة لبيان خلق الصبر، تقدم البرهان الكافي على الفرضية، وأن بناء النص بطريقة تراتبية تتضمن الرمز، ثم انتشار الفكرة حول موقع التذكير في تقوية خلق الصبر مع الاعتماد على إستراتيجية سوق الأمثال للإقناع هو أحد الأساليب المعتمدة في خطاب الله للخلق لاسيما ما يتعلق بالسور ذات المطالع الرمزية.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (23/ 310).

الخاتمة

من كل ذلك نستنتج:

1. أن مطالع السور القرآنية المحتوية على الحروف الرمزية (المشهورة بالحروف المقطعة) كثيرة بلغت تسعًا وعشرين سورة، وقد نزل أكثرها في مكة، ولم ينزل بالمدينة سوى ثلاث سور.

2. إن تلك المطالع موزعة من حيث عدد الحروف الرمزية بين الرمز المفرد، مثل: (ق والقرآن المجيد) وبعض السور متعدد الرموز، بين حرفين، مثل/ (حم) وثلاثة، مثل: (الم) وأربعة، مثل: (المص) وخمسة، مثل: (حم عسق).

3. تبيَّن أن السور المفتتحة بحرف واحد، مثل: سورة (ص) أيسر لبلوغ دلالة الرمز، اعتمادًا على آلية الإحصاء تبعًا لنسق السورة ونظمها، من ذوات الحروف المتعددة كما في (كهيعص)، فالمفردة الرمز أيسر بحثًا، ولعلها أكثر بيانًا على سرِّ المعجزة في تلك السورة.

4. إن دراسة سورة (ص) بينت أن ذلك الحرف{ص) هو رمز لما تضمنته السورة من أدلة تشير إلى الأهداف من {الآيات} ودلالتها على الإعجاب والإعجاز بصوره اللفظية كالآيات الحسية والتاريخية، بل أقوى من ذلك، ولعله لذلك تكرر حرف (الصاد) أزيد من ثمان وعشرين (28)مرة، يبدأها بحرف (ص والقرآن).

5. تكرار النماذج الدالة على تجارب الأمم المتنوعة في السورة، تؤكد للمتلقي أهمية (الصبر) من حيث هو اللفظ الأساسي الحامل للحرف الرمزي (ص) في مسيرة نشر الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: 17]، أي: ألزم خلق الصبر على مسلك الرسل على ما يواجهونه من صعاب فعلية، ومعارضات قولية؛ فهم إنما ينطلقون من خواء فكري بسبب الجهل بعالم الحقائق الكبرى أو بسبب العناد والمكابرة، وعدم الالتفات للذكر ليوقظ فيهم (العهد الشاهد)؛ لذا لا ينبغي للمتلقي الالتفات إلى هذيانهم، ولا الحزن من أباطيلهم المستهجنة، ولكي ينجح المتلقي في رسالته الحضارية ينبغي أن يوطن نفسه على (الصبر) المأمور ولا يتجاوز عن مقتضاه، ولا يتعب نفسه بالقلق والاضطراب والمجادلة مع الجاهلين بقيمة الذكر فيقع في المخاصمة وما من شأنه أن يؤثر على فاعلية (الذكر).

6. بذلك يتبين أن المنهج المعتمد على الاستقراء للنص اعتمادًا على تتبع النسق القرآني صوتًا ودلالةً واستقصاءً للتجارب في نسق السورة إيمانًا بكونه خاليًا من الزيادة والنقصان.

7. تبيَّن أن كل حرف (رمزي أو غير رمزي) في القرآن له دلالته في موقعه، حتى قيل لقد زيد حرف الصاد في سورة (المص) إعلامًا بما فيها من قصص الأنبياء[1] ومنه أنَّ الرموز التي تميزت بها بعض السور لها علاقة كبيرة بمتن السورة، وأن لها أهدافًا عظيمة تتطلب البحث الجادِّ، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

1- عبد القادر بن ملّا: بيان معاني القرآن (1/ 328) بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398هـ)، الناشر: مطبعة الترقي - دمشق، الطبعة: الأولى، 1382هـ - 1965م.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الهائم أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: 815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن: المحقق د ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.
- المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1422هـ، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) البحر المحيط في التفسير المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ.
- أشرف البولاقي حضارة النص ونص الحضارة، قراءات نقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- البقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
- الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الدار (المتوفى: 471هـ)، أسرار البلاغة في علم البيان قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، أحكام القرآن المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ/1994م.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، الناشر دار إحياء العلوم سنة النشر 1419هـ 1998م، مكان النشر بيروت.

- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 11هـ) الإتقان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974 م.
- الشاطبي المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، الموافقات المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
- الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير للشوكاني الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414هـ.
- الشيخ علوان: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ، 1999م.
- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م.
- طه عبد الرحمن، مقال فيديو بصوت طه عبد الرحمن، فيسبوكِ.
- الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- محمد الطاهر بن عاشور بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: 1393هـ)، التحرير والتنوير الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ.
- النحاس أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ) إعراب القرآن وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون.

List of Sources and References:

- Ibn al-Hayyam Ahmad ibn Muhammad ibn Imad al-Din ibn Ali, Abu al-Abbas, Shihab al-Din, Ibn al-Hayyam (died: 815 AH), Al-Tibyan fi Tafsir Gharib al-Qur'an: edited by Dr. Dahi Abdul Baqi Muhammad, Publisher: Dar al-Gharb al-Islami - Beirut, Edition: First - 1423 AH.
- Ibn Atiyah: Abu Muhammad Abdul Haq ibn Ghalib ibn Abdul Rahman ibn Tamam ibn Atiyah al-Andalusi al-Muharbi (died: 542 AH), Al-Muharrar al-Wajeez fi Tafsir al-Kitab al-Aziz edited by: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, Edition: First - 1422 AH, Al-Madani Printing Press in Cairo, Dar al-Madani in Jeddah.
- Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan Athir al-Din al-Andalusi (died: 745 AH), Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir, edited by: Siddiqi Muhammad Jamil, Publisher: Dar al-Fikr - Beirut, Edition: 1420 AH.
- Ashraf al-Bulaki, Civilization of the Text and the Text of Civilization, Critical Readings, Egyptian General Book Authority.
- Al-Buqai Ibrahim ibn Umar ibn Hasan al-Ribat ibn Ali ibn Abi Bakr al-Buqai (died: 885 AH), Nazm al-Durar fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar, Dar al-Kitab al-Islami, Cairo.
- Ibn Kathir Abu al-Fida Ismail ibn Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi (deceased: 774 AH), Al-Tafsir Al-Azim Al-Muhaqqaq: Sami bin Muhammad Salama, Publisher: Dar Taybah for Publishing and Distribution, Second Edition 1420 AH - 1999 AD.
- Al-Jurjani Abu Bakr Abdul Qahir ibn Abdul Rahman ibn Muhammad of Persian origin, Al-Dar (deceased: 471 AH), Asrar al-Balagha fi Ilm al-Bayan, read and commented on by: Mahmoud Muhammad Shakir, Publisher: Al-Madani Press in Cairo, Dar Al-Madani in Jeddah.
- Al-Jassas, Ahmad ibn Ali Abu Bakr al-Razi al-Jassas al-Hanafi (deceased: 370 AH), Ahkam al-Quran, edited by: Abdul Salam Muhammad Ali Shahin, Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, First Edition, 1415 AH / 1994 AD.
- Al-Khatib al-Qazwini, Al-Iydah fi Uloom al-Balagha, edited by Sheikh Bahij Ghazawi, Publisher: Dar Ihya al-Uloom, Year of Publication 1419 AH 1998 AD, Place of Publication Beirut.
- Al-Zamakhshari: Abu al-Qasim Mahmoud ibn Amr ibn Ahmad, Jar Allah (deceased: 538 AH), Al-Kashaf 'an Haqaiq Ghawaamid al-Tanzil, Publisher: Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, Third Edition - 1407 AH.

- Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din (died 11 AH), *Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an*, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Publisher: Egyptian General Book Organization, Edition: 1394 AH / 1974 CE.
- Al-Shatibi, Author: Ibrahim bin Musa bin Muhammad Al-Lakhmi Al-Gharnaṭi, known as Al-Shatibi (died 790 AH), *Al-Muwafaqat*, edited by: Abu Ubaidah Mashhoor bin Hassan Al-Salman, Publisher: Dar Ibn Affan, Edition: First edition 1417 AH / 1997 CE.
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah (died 1250 AH), *Fath al-Qadeer* by Al-Shawkani, Publisher: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Al-Tayyib - Damascus, Beirut, Edition: First - 1414 AH.
- Sheikh Alwan: Ni'mat Allah bin Mahmoud Al-Nakhjwani, known as Sheikh Alwan (died: 920 AH), Divine Openings and Unseen Keys Explained for the Qur'anic Words and Discriminatory Wisdom: Dar Rukabi for Publishing - Al-Ghuriya, Egypt, First Edition, 1419 AH - 1999 AD.
- Al-Tabari: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Ghalib Al-Amili, Abu Ja'far Al-Tabari (died: 310 AH), Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an, Verification: Dr. Abdullah bin Abdulmohsen Al-Turki, in cooperation with the Islamic Research and Studies Center at Dar Hijr, Dr. Al-Sind Hassan Yamama, Publisher: Dar Hijr for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, First Edition, 1422 AH - 2001 AD.
- Taha Abdul Rahman, Video article narrated by Taha Abdul Rahman, on Facebook.
- Al-Gharnaati Facebook: Ahmad ibn Ibrahim ibn Al-Zubair Al-Thaqafi Al-Gharnaati, Abu Ja'far (died: 708 AH), The Definitive Interpretation for those with Heresy and Negation in Guiding the Ambiguous Wording from the Verses of Revelation, with footnotes by: Abdel Ghani Muhammad Ali Al-Fassi, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut - Lebanon.
- Muhammad Al-Tahir ibn Ashur ibn Muhammad ibn Muhammad Al-Tahir Al-Tunisi (died: 1393 AH), At-Tahrir wal-Tanwir, Publisher: The Tunisian Publishing House - Tunisia, Year of Publication: 1984 AH.
- Al-Nahhas Abu Ja'far Al-Nahhas Ahmad ibn Muhammad ibn Isma'il ibn Yunus Al-Muradi Al-Nahwi (died: 338 AH), Grammar of the Qur'an, with footnotes and commentary by: Abdul Munim Khalil Ibrahim, Published by Muhammad Ali Baydoun.